



# إِبْنُ الْقَيْمِ

## ومعه البلاغى فى تفسير القرآن الكريم

### دكتور عبد الفتاح لاشين

التعريف بابن القيم :

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، ويكنى بأبي عبد الله، ويلقب بشمس الدين، ويشتهر بابن القيم، أو بابن قيم الجوزية، والجوزية: اسم مدرسة بدمشق كان أبوه قيما عليها (١). ولد في عام ٦٩١هـ الموافق عام ١٢٩٢م، وتولى بدمشق سنة ٧٥١هـ، فزهره شبابه كانت في النصف الأول من القرن الثامن الهجري. وقضى معظم حياته بالشام، وجاور بمكة فترة من الزمن، وانتحل إلى القاهرة في بعض الأحيان (٢). وكانت الشام في حياة ابن القيم في عصر سلاطين المماليك (٦٥٦ - ٩٢٣هـ) تابعة لمصر، ويحكمها نائب من قبل السلطان بالقاهرة، وامتد ذلك ثلاثة قرون.

وقد تعلمد ابن القيم على كثير من علماء الشام، ومن الشيوخ الذين أحدهم مثلاً أعلى له، وترك أثرًا في نفسه ابن تيمية، فقد لزمه منذ سنة ٧١٢هـ إلى سنة ٧٢٨هـ، وأخذ عنه الكثير من آرائه، ونهج نهجه في محاربة المنحرفين عن عقيدة السلف.

وقد ازدهرت الحياة العلمية في عصر المالكية، إذ عرفوا أن العلم عماد الدولة، لذلك شجعوا التعليم، وقرَّبوا العلماء، وأجزلوا لهم العطايا والسخ، وأكثروا من المساجد والروايا التي اتخذها العلماء مقرًا لطلاب العلم، وقضاء المعرفة، وأشهر هذه الأماكن، الجامع الأزهر، وجامع عمرو بن العاص، وجامع ابن طولون، وجامع الحاكم، (٢٠) كما أفتوا المدارس هذا الغرض، وفعلوا مثل ذلك في الشام.

## الإنسان ابن بيته :

والإنسان ابن بيته، وتنتج مجتمعه، وهو مجموعة من المواهب الطبيعية، والصفات المكتسبة من البيئة العامة والخاصة، فهي تصيغ الفرد بصيغة خاصة، وتلون أهدافه واتجاهاته بلون يناسب الظروف التي يحيا فيها، وتحيط به.

فليس غريباً أن نرى رجلاً مثل ابن القيم ينشأ في هذا الحقل، ويتغذى بهذه الثقافة، فيحسها، ويستلها، يخرجها للناس في آثار خالدة تنبئ عن عقل رشيد، وفهم سديد، فقد تبحر في دراسة العلوم الشرعية، والعربية، وعلم الكلام، والتصوف. (٢١)

وكان ابن القيم باحثاً قوى الشخصية، لا يتأثر بغيره، بل كان حراً، يعمل فكره، ولا يلتمس برأى غيره، ولو كان شيخه ابن تيمية، فكثيراً ما كان يناقشه، ويرد رأيه عندما كان يشو له وجهه للترجيح. (٢٢)

وقد تعرض لمثل ما تعرض له شيخه ابن تيمية من العذاب والتنكيل، وفي مسائل قد تكون مثابرة، إذ مصدرها حرية الرأي، والبحث الحر، إلا أن ابن تيمية تعرض لأكثر مما تعرض له ابن القيم من البطش والتنكيل، لأن ابن تيمية كان حاد الطبع، عيب الثورة على أصحاب البدع والمغالين للسنة، وكان لا يقبل أن يرجع عما يرى أنه الحق.

وحينما جاء ابن القيم كان النزاع قد خف، وفُتِرت حدته، فأخذ يتناول المغالين بالحجة

واليهان في هدوء واتزان، ويناقش الآراء، ويأخذ منها ما يراه موافقا للشرع، ويرد منها ما كان مخالفا، مع ميل إلى الهدوء، وبعد عن العنت.

وعلى الرغم من ذلك فقد ناله الأذى، فاعتقل مع شبيهه بقلعة دمشق بعد أن أهين، وطيف به على حمل مضروب بالدرة (١).

فهذه المواقف تدل على ما تتميز به ابن القيم من ثبات على الرأي، كما ينسب عن شخصية قوية لا تقبل عن اعتقادها مهما أصابها من بطش وتعذيب.

ومات رحمه الله سنة ٧٥١هـ، وقد ذكر أن جنازته كانت «حافلة جدا»، وهذا الاحتفال بالجنازة يدل على سلامة اعتقاد العامة، وقد أثر عن ابن حنبل أنه قال لخصومه: «يسنا وبينكم اتباع الجنائز» (٢) فكانت هذه الجنازة غير العادية دليلا على إخلاصهم لأنهم، ونصحهم لها.

## ابن القيم وتفسير القرآن

لم يؤلف ابن القيم مؤلفا خاصا بتفسير القرآن الكريم، ومع ذلك فقد كانت له اليد الطولى في البحث فيه، فقد تناول كثيرا من آياته في شأها كنية العديدة التي بلغت أكثر من تسعين كتابا (٣)، وقد تمس في حياته أن يفسر القرآن الكريم ويخلصه بمؤلف فقال في أحد مؤلفاته: (٤) «وعسى الله أنمان بفضل الواسع العطاء الذي عطاؤه على غير قياس المخلوقين أن يعين على تعليق تفسير على هذا النمط وهذا الأسلوب، وقد كتبت في مواضع متفرقة من القرآن على ما ينسج من هذا النمط وقت مقاسي بمكة وبالييت المقدس، والله المرجو إتمام نعمته»، ولكن لم يحصل ما تمناه، ولم يقع ما رجاه.

وقلت مؤلفات ابن القيم المطبوعة والمخطوطة على ما تركها، وكانت كنية على ترقها ونشأها هي المرجع الوحيد لما تعرض له من تفسير للقرآن الكريم، حتى وفق الله الشيخ أويس الندوي، قجيمع موقوف عليه من تفسير للقرآن من مؤلفاته في مجلد واحد، وظاهر هذا الكتاب باسم «التفسير القيمي» (٥).

ومع الجهود التي بذلها جامع هذا التفسير فقد نذرت عنه بعض الشوارد، وقلت مطوية في بطون الكتب، وقد نه إلى ذلك الأستاذ محمد بهجت البيطار الدمشقي في مقال

لشأنه له مجلة المجمع العرفي بدمشق، فأثنى على هذا المجمع، وقال: «إنه عمل مشكور، لكنه لم يستوف، ولم يقارب، فقد فاتته مواضع، وتغنى لو حصل التتبع الدقيق والتقصي الأتقن لما بحث ابن القيم في ذلك».

ومن خلال تتبعي لآثار ابن القيم المتفرقة، وما جمع من تفسيره في هذا السفر القيم تبين أن ابن القيم كان يتمتع بحس بلاغي في فهم آيات الكتاب المبين، وقدرة عظيمة على استخراج اللطائف البائية، والأسرار البلاغية، وتوجيه الآيات توجيهها يظهر فيه البراعة، وحسن الإنكار، مما يحمل القارئ أو السامع على تقديره والاعتزاز به، فقد بلغ الغاية في دقة الفهم، والعمق في النص، واستتاج كثير من اللطائف البلاغية والأسرار البائية التي لم نسمعها من غيره، فكان هو الجليل ومن بعده هو المصلي.

وإبن القيم حين تعرض لتفسير بعض الآيات الكريمة في مؤلفاته، لم يقصد تفسير القرآن آية آية - كما هو معروف - عند غيره، وإنما كان يتعرض للآية الكريمة ليبان حكم شرعي، أو يورث على فرقة من الفرق التي انحرفت عن منهج القرآن الكريم، فيظهر عند ذلك حسه البلاغي، وتبرز قدرته على استخراج الثكت والأسرار.

وقد تناول في تفسيره هذا ما يخص «حروف القرآن» - حروف المعجم، وحروف المعاني - وكيفية تركيبها، وحسن اختيارها، وملاءمتها لمواضعها.

كما تناول «الكلمة» وانتقاءها، وحسن اختيارها، وتفضيلها عن سواها، وتناسقها مع غيرها.

كذلك تناول «نظم الجملة» وبناءها، وجمال التمامها، وتناسقها مع سياقها من الجمل. وسنخصص هذا البحث - إن شاء الله تعالى - بحروف القرآن الكريم، لنرى جهوده في الدرس البلاغي، ومدى ماوصلت إليه قدرته على استخراج مآل حروف القرآن من أسرار بلاغية، ولطائف بيانية، تسترعي الانتباه، وتثير الإعجاب.

## حسه البلاغي في تفسير القرآن

### الحروف في القرآن «حروف المعجم، حروف المعاني»

القرآن الكريم يتخير حروف الكلمة، ويتنقى أصواتها، صافية اللوح في مخارجها، لذبدة السماع، طيبة الجبرى على اللسان، معتدلة في تأليفها، خفيفة في القم، نازلة على أحسن

هيئة في الإيقاع، قوة الإيحاء، شدة البعث لما تتضمنه من المعاني المرادة، والأهداف المفصولة من الآلة الكريمة.

لذلك نرى في تراكيب حروف القرآن تناسقا عجيبا بين الرخو منها والشديد، والجمهور والمهموس، والممدود والمقطوع، ونجد أن اجتماعها مع بعضها يؤلف نغما مطربا، يظهر أثره في صوت القارئ.

وهذا ما يدركه كل باحث في القرآن الكريم، وكان لأن القيم في فهمه لحروف القرآن والبحث عن خصائصها نظرات صائبة، وأفكار طيبة، بدت في تحليله لبعض آيات القرآن وظهرت متفرقة في كتبه، نذكرها فيما يلي:

### الحروف المقطعة :

وردت هذه الحروف في أوائل سور كثير من القرآن الكريم، فاستفتح بها تسع وعشرين منها، نحو: ألم، ألمص، أتر، ص... الخ، وقد اختلف العلماء في أسرار هذه الحروف، والسبب في بدء السورة بها اختلافا كبيرا (١٣)، يعكس العجز من البشر، وهو سر من أسرار الإعجاز في القرآن الكريم، لكن العلماء - على الرغم من اعترافهم بمعجزهم عن الوصول إلى السر الحقيقي - لا يكتفون عن البحث عن هذا السر الدفين، والكشف عن ذلك الخبايا الثمين.

ومن شارك العلماء في جهودهم للبحث عن سر هذه الحروف المقطعة، وتعقب أقوال سابقة، ابن القيم، فقد قال: (١٤) «الصحیح أن [ن، ق، ص] من حروف المجاء التي يفتح بها الرب سبحانه بعض السور، وهي أحادية، وثلاثية، ورباعية، وخماسية، ولم تتجاوز الخمسة، ولم يذكر قط في أول سورة إلا وعقبا يذكر القرآن، إما مقسما به، وإما مغيرا عنه، ماعلا سورتين [كهيعص، ن]، كقوله تعالى «ألم، ذلك الكتاب» والبقرة ١، «ألم، الله لا إله إلا هو الخي القيوم، نزل عليك الكتاب بالحق» وآل عمران ١، «ألمص، كتاب أنزل إليك...» والأعراف ١، «ألم، تلك آيات الكتاب...» والرعد ١، وهكذا.

ففي هذا تنبيه على شرف هذه الحروف، وعظم قدرها، وجلالتها، إذ هي مباني كلامه، وكنية، التي تكلم سبحانه بها، وأزغها على رسله، وهدى بها عباده، وعرفهم بوساطتها

نفسه، وأسماءه، وصفاته، وأفعاله، وأمره، ونبيه، ووعدته، ووعدته... وأقدهم على التكلم بها، بحيث يبلغون بها أقصى ما في أنفسهم بأسهل طريق، وأقل كلفة ومشقة.

فكان في ذكر هذه الحروف التنبيه على كمال ربوبيته، وكمال إحسانه وإنعامه، فهي أول أن يقسم بها من الليل والنهار، والشمس والقمر، والسماء والنجوم، وغيرها من المخلوقات.

وقد جمع الله - سبحانه - بين الأمرين - أعنى القرآن ونطق اللسان - وجعل تعليمهما من تمام نعمته وامتنانه، فقال تعالى: «الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان» (الرحمن ١-٢)، فهذه الحروف علم القرآن، وبها علم البيان، وبها فضل الإنسان على سائر أنواع الحيوان، وبها أنزل كتبه، وبها أرسل رسله، وبها جمعت العلوم وحفظت...

ثم ينتقل ابن القيم من الكشف عن الأسرار في تلك الحروف إلى تعريف العباد بعظمة الله تعالى وإظهار آياته وقدراته في كيفية إنطلاق الإنسان بواسطة هواء يخرج من قصبة الرئة، وإلى الفم من باطن الإنسان إلى ظاهره، في مجاز قد أعدت وهيئت لتقطيعه وتفصيله، ويسمع له عند كل مقطع من تلك المقاطع صوت غير صوت المقطع المجاور له، فإذا هو حرف، فتبارك الله أحسن الخالقين، يقول في ذلك: (١٠)، «فآياته - سبحانه - في تعلم البيان كآياته في خلق الإنسان، فسبحان من هذا صنعه! في هواء يخرج من قصبة الرئة، فينضم إلى الملقوم، وينغرش في أقصى الخلق، ووسطه، وآخره، وأعلى، وأسفله، وعلى وسط اللسان، وأطرافه، وبين الشاه، وفي الشفتين، والخيشوم، فيسمع له عند كل مقطع من تلك المقاطع صوت غير صوت المقطع المجاور له، فإذا هو حرف فأعلم الله - سبحانه - الإنسان بضم بعضها إلى بعض، فإذا هي كلمات قائمة بنفسها، ثم ألهمهم تأليف تلك الكلمات بعضها إلى بعض، وإذا هي كلام دال على أنواع المعاني: أمراء ونبياء، وخبراء واستخباراء ونفيا، وإثباتا وإقرارا، وإنكارا، وتصديقا، وتكديبا، وسؤالا، وجوابا... إلى غير ذلك من أنواع الخطاب، نظمته ونثو، ووجزه ومطوله، على اختلاف لغات الخلائق، كل ذلك صنعه تبارك وتعالى في هواء مجرد خارج من باطن الإنسان إلى ظاهره في مجاز قد هيئت وأعدت لتقطيعه وتفصيله، ثم تأليفه وتوصيله، فتبارك الله رب العالمين.

وإذا كان هذا شأن الحروف فحقيق أن تفتح بها السور، كما افتتحت بها الأقسام.

## الحروف تحذو حذو المعاني :

ثم يتناول ابن القيم بعض هذه الحروف المفردة التي بدئت بها بعض السور، وينعم النظر فيها، وفي بقية السورة منها، ويخرج بعد الدراسة والبحث بفكرة جيدة تدور حول التناسب بين بدء السورة بالحرف والألفاظ التي تشتمل عليها السورة، ومما تدل عليه الألفاظ تلك من شدة وجهر، وفقلقة وانفتاح، مما يبرز معنى قد يخفى على بعض العلماء، وهو أن حروف الألفاظ تحذو حذو المعاني، يقول في توضيح ذلك: (١٠) «تأمل السورة التي اشتملت على الحروف المفردة، كيف نجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف، فمن ذلك [ق]، والسورة مبنية على الكلمات القافية من: ذكر القرآن، (١١) وذكر الخلق، (١٢) وتكبر القول ومراجعتهم مرارا، (١٣) والقرب من ابن آدم، (١٤) وتلقى الملكين قول العبد، (١٥) وذكر الرقيب، (١٦) وذكر السابق، (١٧) والقرين، (١٨) والإلقاء في جهنم، (١٩) والتقديم بالوعيد، (٢٠) وذكر الشقين، وذكر القلب، (٢١) والقرون، والتسقيب في البلاد، (٢٢) وتشقق الأرض، (٢٣) وإلقاء الراس فيها، (٢٤) وسوق النخل، والرزق، (٢٥) وذكر القوم، (٢٦) وحقوق الوعيد، (٢٧)»

ولم يكنف ابن القيم بما بين هذا الحرف المفرد الذي بدئت به الآية، وبين بقية السورة من مناسبة لفظية ظاهرة، بل أضاف إلى ذلك المناسبة المعنوية بين هذا الحرف المفرد [ق] الذي يدل بوضعه على الشدة والجهر، وبين معاني هذه السورة التي ملكت بالحروف القافية، وحرف القاف من الحروف الشديدة الجهرية، فناسب ذلك مع الغرض من السورة، حيث إن نزولها كان في مهاجمة المشركين، وتقرير الوعيد لهم، وإثبات الحساب والموت والبعث وما يفتد ذلك من مكروه يفرعون منه ويهربون، فقال: (٢٨) «وشيء آخر، وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حروف القاف من الشدة والجهر والعلو والارتفاع».

ويضيف إلى سورة [ق] سورة أخرى، وهي [ص]، وبين المناسبة بين بدء السورة بالحرف المفرد [ص]، وبين ما اشتملت عليه السورة من معاني العداوة والحصومة، فقال: «فتأمل ما اشتملت عليه سورة [ص] من الخصومات المتعددة:

فلأولها: خصومة الكفار مع النبي ﷺ وقولهم: «اجعل الآفة إنا واحداً» إلى آخر كلامهم.

ثم اختصام الخصمين عند داود (٣٧).

ثم نخاصم أهل النار. (٣٨)

ثم نخاصم إبليس، واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم. (٣٩)

ثم نخاصم ثانيا في شأن نبيه، وحلقه ليغويهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم. (٤٠)

ثم نخلم حديثه بقوله :

«فليتأمل اللبيب القطن، هل يليق بهذه السورة غير [ص]، وسورة [ق] غير حرفها، وهذه قطرة من بحر من بعض أسرار هذا الحرف».

فدري تخليق ابن القيم في هذه الآفاق العالية، واختياره تلك اللطائف السامية، وحسنه البلاغي الرقيق في توجيه هذا الحرف، فذلك لا يخطر إلا على قلب عقول، ولسان رطب يذكر ربه، دائم التفكير في ملكوته.

وهذه الحروف المقطعة لايتسنى القول فيها عند حد، ولايتوقف عند رأى، فلكل عالم رأى، ولكل وجهة. وسيفلل الكلام فيها يتجدد جيلا فجيلا، حتى يظل القرآن متجددا، وإعجازه مستمرا، وفي هذا الاختلاف ، وتجدد الرأى من حين لآخر علامة على أعجاز القرآن الكريم، وآية على أن العقل الإنساني مايزال في حيرة من أمره، وقاصرا عن إدراك حقائق الإعجاز فيه.

ودري ابن القيم في عقده الصلة بين بدء السورة بالحرف المنفرد [ق] - مثلا - وهو حرف شديد مجهور، وبين ما جاء في بقية السورة من معاني الوعيد الشديد، واللعاب الأليم، والحساب الدقيق، في يوم لاينفع فيه مال ولا بنون، قد انتفع كثيرا بما كان يراه ابن جنى، فقد كان يرى أن نسبة كبيرة من الحروف يرتبط صونها بما تؤدبه من معنى ارتباطا وثيقا، فإنيهم كثيرا مايتجملون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها (٤١)

فحرف الخاء - مثلا - في قوله تعالى في وصف الجنة: «فيها عينان نظااحتان» والرحمن ٦٦، يصور بقلظه، وصوت جرسه، فيه الماء وكثيرته، إذ النطق (بالحاء) أقوى



من التضعيع [بالحاء]، فقد جعلوا الحاء [لرقبها] للحاء الضعيف، والحاء [لعلظها] لما هو أقوى جعلوا المسموع من الأصوات على محسوس الأحداث.

فإن القيم قد أجادوا الأتخذ، وأحسن في الاستقلال.

### زيادة حرف [الميم] في [اللهم] :

يقول تعالى: «قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتجزع من تشاء، وتقل من تشاء، وينك الخير، إنك على كل شيء قدير» آل عمران ٢٦.

يقول ابن القيم: (١٢) «اللهم» لاختلاف أن لفظ «اللهم» معناها: [يا أله]، ولهذا لا تستعمل إلا في العلقب، فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني.

وختلف النحلة في الميم المشددة من آخر الاسم :

فقال سيويه: زهدت عوضاً من حرف النداء، ولذلك لا يجوز الجمع بينهما في اختيار الكلام، فلا يقال: يا اللهم، إلا فيما ندر، كقول الشاعر:  
إلى إذا ما حدثت ألقاً أقول: يا اللهم، يا اللهم

ويسمى ما كان من هذا القرب عوضاً، إذ هو في غير محل المطلوب، فإن كان في محله سمى بدلاً، كالألف في [قام، باء] فإنها بدل من الواو والياء.

ولا يجوز عنده أن يوصف هذا الاسم أيضاً، فلا يقال: يا اللهم الرحيم الرحيم، ولا يبدل منه.

ولكن ما لسر في زيادة حرف الميم في «اللهم»، وماذا كانت الميم هي الزائدة، دون غيرها من الحروف المجالية؟

لم ينع ابن القيم بما قاله المحبون، ولم يتوقف عند كلام سيويه عن حرف الميم، بل بحث عن سوءه وسبب وجوده، فقال: (١٣) «قيل: زهدت الميم للتعظيم والتضخيم، كزيادة في [زرقم] لشدة الزرقفة، و«إسم» في «إسم».

## استطراد قبل الإجابة عن السؤال :

وبصحيح ابن القيم هذا القول، ويضيف إليه تنمة، فينقل عن أساطين العربية المناسبة بين اللفظ والمعنى، بل الصلة التي تربط بين الحركة ومعنى اللفظ، ويخلص منهم ابن حتى، وينقل عنه قوله:

«ولقد مكثت برهة يرد على اللفظ لا أعلم موضوعه فأجد معناه من قوة اللفظ، ومناسبة تلك الحروف لذلك المعنى، ثم أكتشفه فأجده كما فهمته أو قرأته منه».

ثم يحكى ذلك لشبهه ابن تيمية، فيجد أن ذلك من طبع ابن تيمية أيضا.

ثم يذكر فضلا عظيم الشفع لابن تيمية، في تناسب بين اللفظ والمعنى، ومناسبة الحركات لمعنى اللفظ، ويقدم الكلام على مناسبة الحركات لمعنى اللفظ، ويمثل لها بعدة أمثلة فيقول:

«إنهم في الغالب يجعلون الضمة التي هي أقوى الحركات للمعنى الأقوى. والفتحة الخفيفة للمعنى الخفيف.

والمتوسطة [بمعنى الحركة التي بين القوي والخفيف - وهي الكسرة] للمتوسط.

فيقولون : عز يعز - يفتح العين - إذا صلب.

ويقولون : عز يعز - يكسر العين - إذا امتنع، والممتنع فوق الصلب، فقد يكون الشيء صلبا ولا يمتنع على كاسره.

ثم يقولون : عز يعز - يضم العين من باب رد - (١٥١) إذا غلبه، قال تعالى في قصة داود - عليه السلام - «وعزى في الخطاب» (ص ٢٣)، والغلبة أقوى من الامتناع، إذ قد يكون الشيء محتما في نفسه، متحصنا عن عدوه، ولا يغلب غيره، فالغالب أقوى من الممتنع.

فأعطوا الغالب أقوى الحركات - وهو الضمة - والصلب أضعف من الممتنع، فأعطوه أضعف الحركات - وهو الفتحة - والممتنع المتوسط بين المرتبتين حركة الوسط.

و [ذبح] - يفتح أوله - للفعل نفسه، ولا يرب أن الجسم أقوى من العرض فأعطوا











وكيف أتى في رجمه حرف ابتدء بعده مصافة إليه، فقال (وما حمه)، أتى في شبه  
بهاء السبعة مصافة إلى كسب أبيهم.

وكيف أكد حمته لأول من نصب بعده رجمه حرف (ن)، دون حمته ثانية،  
أسر حرف كسر ونعته من ن حفظه عقول سمر

ثم يسر من هم في الاستشهاد باب حرف يعقوب  
وإنما قوله تعالى (ورد منك خبر في خبر من يدعوك)، (أسر) ٢٦٧  
كيف أتى سر (إد) ههنا ن كال من خبر هو في خبر محقق، خلاف قوله (الأسر)  
إنسان من دعاء آخر، (ن) منه خبر محقق فوجد (إد) (نصب) ٢٢٩ قوله = بعده  
من بشر هـ بل منصفه، وما بعده بشر من هو محقق فيه ذلك، (ن) ٢٢٧ (إد)

وتأمل قوله تعالى: (ورد نعت عن لسان نوح وأبن حبه، ورد منه خبر كال  
يوسف، (الأسر) ٢٨٢، كيف أتى هـ ب (إد) مشعرة بتحقيق الوقوع المستلزم للناس، قال  
نأس بن حصي بعد تحقيق من بشر به، فكان (إد) ب (إذا) ههنا أول على المعنى  
المقصود من (إد).

خلاف قوله (ورد منه خبر فثبت قوله) فيه شبه صحيح، ويصحف حبه من  
وقع بشر نوح في دعاء، ورد حق وقوعه كال يتوب

وبن كات هذه عدة بدء عبد يعقوب (ن) بكره، فقد جمع بين (ن) (إد)  
بكرته وعمل خروجها عن مدعية تحليل مقبول، (نوحه صيف، من عن حمته معقولة،  
ودونه اللاحق يقول:

(ورد نعت هذا يصح بقوة تعالى (ن) مرة حيث بين (ن) (إد) (ن) (ن) هذا يصح  
ماتركه (النساء) ١٧٦، والهلاك محقق

فمن (نعتين من عن مصنف هلاك، بل عن هلاك مخصوص، (ن) هلاك (ن) (ن)  
ولد.

وبن حمته هذا يصح بقوة (ن) (ن) (ن) (ن) من حمته ما ركب، (ن) (ن) (ن)









وَمِنْ شَأْنِ قُوَّةِ بَعْدِ هُوَ الْكُلُّ وَالْأَخَرُ وَالْأَوَّلُ وَالْأَخِيرُ

وَأَمَّا كَيْفَ جَمَعَ بَعْضُ قُوَّةِ بَعْدِ هُوَ الْكُلُّ وَالْأَخَرُ وَالْأَوَّلُ وَالْأَخِيرُ  
عَلَى بَعْضِ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ سَدِيدٌ خَلْفَ قُوَّةِ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ

قُوَّةِ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ  
بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ  
بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ  
وَمِنْ هَذِهِ مَثَلُهُ لِكُلِّ هَذِهِ حِكْمَةٍ

أَحَدُهُمَا يَتَلَقَّى بِالْإِسَاءَةِ وَالْإِعْرَاضِ - وَهُوَ الْمَقْرَعَةُ

هَذَا بَعْضُ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ  
بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ

وَكَيْفَ كَانَ بَعْضُ بَعْضٍ كَالْبَعْضِ الْخَبِيرِ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ  
بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ  
بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ

وَأَمَّا شَدِيدُ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ  
بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ  
بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ  
بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ

وَمِنْ هَذِهِ مَثَلُهُ لِكُلِّ هَذِهِ حِكْمَةٍ  
بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ  
بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ  
بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ وَفِي بَعْضٍ بَعْضٍ

وَمِنْ هَذِهِ مَثَلُهُ لِكُلِّ هَذِهِ حِكْمَةٍ

وجوده و هو ثابتة و يرد في شاهد شاهد، فإن في شاهد أن موصوف حسب في وجوده و بعده و يرد عرف هذا و أنه في حين في يتبع في ذكره معنى وصف بركته، لأن كل صفة في وصف على موصوف كان في شبه على في في جميعها كما وصف في حد موصوف واحد، هذا في جميع في وصف، هذا في ذكر أكثر موصوف، و هي على شكر، و هي موصوف مستند في في حد و حد حسن وصف بين في كان وصف موصوف و هي على حد، موصوف عليه، لا يمكن في حصول وصف أكثر، بل لا بد في يظهر أمره بالمعروف بغيره، و فيه على الشكر بغيره.

وأيضا حسن وصف في موصوف في موصوف، هذا كان أكثر موصوف و هي على شكر صديق، أحدهم حسب لإحدى، و آخر حسب لإحدى، كان كانوعين موصوف المتصديق، فحسن لذلك العطف.

و في في موصوف في موصوف في ذكر و هو واحد.

و موصوف في هو موصوف، على في في صفته في موصوف و هو حد خير ممكن موصوف مؤنث، موصوف، موصوف، موصوف، موصوف، موصوف، و يكون.

فيل : هذه و هو الثانية فيها بعد الوصف السابع.

و ليس كذلك، و هو و هو موصوف، لأن الوصف في موصوف و هو حد خير ممكن في نساء، و هو وصف شكر و هو، فلا يمكن جميعها، حسن وصف، لأن موصوف في بوجه بالوعين الثبات والأحكام.

وقال في الآية الثالثة :

و موصوف ثلاث، و هو موصوف ثلاثة أسماء كنية، و موصوف خمسة موصوف كلهم رجلا بالحب، و يقولون سبعة و ثمانية كلهم.

فيل : المراد أن موصوف الوو ها لأجل في في

و هو حسن موصوف، أحدهم حد و هو أن يكون و هو و هو موصوف و هو

كلامهم عند قولهم (سبعة) ثم ابتدأ قوله: [وثامنهم كلهم] وذلك يتضمن تقرير قولهم (سبعة)، كما إذا قال لك: زيد فضبه، فقلت: ونحوى.

وهذا اختيار السهيل، (٦٠) وهذا إما يتم إذا كان قوله: [وثامنهم كلهم] ليس داخلًا في المحكى بالقول - والظاهر خلافه - والله أعلم.

وقال في الآية الرابعة والأخيرة:

«الموضع الرابع قوله تعالى: «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراء حتى إذا جاءوها ففتحت أبوابها».

فقد قالوا: ألى بالواو لما كانت أبواب الجنة ثمانية، وقال في النار: «حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها، لما كانت سبعة.

وهذا غاية في البعد، ولادلالة في التقط على الثمانية، حتى تدخل الواو لأجلها، بل هذا من حذف الجواب، (٦١) لتكنة بديعة، وهي أن تفتح أبواب النار كان حال موافاة أهلها، ففتحت في وجوههم لأنه أبلغ في مفاجأة المكروه - وأما الجنة، فلما كانت ذات الكرامة، وهي مأدبة الله، وكان الكريم إذا دعا أضيافه إلى داره شرع لهم أبوابها، ثم استدعاهم إليها مفتحة الأبواب ألى بالواو العاطفة هنا الدالة على أنهم جاءوها بعدما فتحت أبوابها، وحذف الجواب تضييقًا لشأنه، وتعظيمًا لقدره.

وهكذا يرى ابن القيم في حسه البلاغي، وفقهه للنص القرآني بلغ الذروة، وبلغ الغاية، فقد علل لوجود الواو في تلك الآيات السابقة تعليقات طريفة، بتبليها العقل، وتلوقها الحس وتبس بحاليتها ذوق الأقوال الصافية، والبلاغة العالية.

وعلى ما يظهر فإن هذه الواو قد شغلت كثيرًا من ذقابة العلماء، وفقههاء اللغة، وأدلو بدلوهم فيها، ورأوا رأيهم في وجودها وعدمها من زمن بعيد، فجاء ابن القيم، وجمع من كل هؤلاء أطايب آثارهم، وعلاصة آثارهم.

فقد اجتمع أبو علي الفارسي مع أبي عبد الله الحسين بن عالجيه في مجلس سيف

الدولة، فسئل ابن خالويه عن قوله تعالى: «حتى إذا جاءوها فتمت أبوابها في النار بغير واء، وفي الجنة بالواو.

فقال ابن خالويه: هذه الواو تسمى واو الثانية، لأن العرب لا تنطق الثانية إلا بالواو فطر سيف الدولة إلى أبي علي وقال: أحق هذا؟

فقال أبو علي: لا أقول كما قال إنما تركت الواو في النار، لأنها مغلقة، وكان مجيئهم شرطاً في فتحها، فقلوبه [فتحت] فيه معنى الشرط، وأما قوله [وفتحت] في الجنة، فهذه واو الحال، كأنه قال: جاءوها وهي مفتحة الأبواب، أو هذه حالها.

ويعلق صاحب اليزيد على هذا بقوله: «١٦»

أحداهما: أن العادة مطردة شاهدة في إهانة المعذنين بالسجون، من إغلاقها حتى يردوا عليها، وإكرام المتعدين بإعداد فتح الأبواب لهم مباشرة واحتياجاً.

الثاني: التطير في قوله تعالى: «جنت عدن مفتحة لهم الأبواب» ص ١٥٠.

وهذا التعليق هو الذي نقله الأفهام، وتضمن إلى النفوس، ويرشد إليه سياق القرآن الكريم، فقد ورد في القرآن تسعة أوصاف متتابعة لم يدخل بينها حرف العطف، حتى ولا بعد الوصف السابع، وهو قوله تعالى: «ولا تطلع كل حلاف مهين مسار مشاء بنعيم مناع للخبير معتد أثيم غل بعد ذلك زليم» ص ١٠-١٣، وهذا مما يدل على ضعف القول بما يسمى «واو الثانية».

## المراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الإلتقان في علوم القرآن للسيوطي، ط الخليلي، القاهرة سنة ١٩٧٢م.
- ٣- ابن قيم الجوزية - حياته وآثاره، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط وزارة الأعلام، السعودية، سنة ١٤٠٠هـ.

- ٤- ابن قيم الجوزية - جهوده في التدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة، ط دار الجامعات المصرية، اسكندرية، سنة ١٣٩٦هـ.
- ٥- البيهقي في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة، سنة ١٣٧٧هـ.
- ٦- بدائع القوائد، لأبن القيم، بيروت، بدون تاريخ.
- ٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للقبورز ابادي، تحقيق محمد علي النجار، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، سنة ١٣٨٧هـ.
- ٨- البيان في أقسام القرآن، لأبن القيم، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، سنة ١٣٨٨هـ.
- ٩- التفسير القيم، لأبن القيم، جمع محمد أويس الندوي، القاهرة، سنة ١٣٦٨هـ، ط جماعة أنصار السنة المحمدية.
- ١٠- تاريخ آداب اللغة العربية، جورجى زيدان، القاهرة، سنة ١٣٣٢هـ.
- ١١- الجنى الدانى في حروف المعاني، للمرادى، تحقيق فخر الدين قباوة، حلب، سنة ١٣٩٣هـ.
- ١٢- الخصائص، لأبن حنى، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، بدون تاريخ.
- ١٣- الخطط التوفيقية، زكى مبارك، القاهرة.
- ١٤- دائرة المعارف الإسلامية، نقلها الى العربية عبد الحميد بونس وآخرين، القاهرة، سنة ١٩٣٣م.
- ١٥- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، الشيخ محمد عبد الحالى عطيمه، القاهرة، سنة ١٩٧٢م.
- ١٦- درة التبريل وغرة التأويل، للإسكالى، بيروت، سنة ١٣٩٣هـ.
- ١٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبن حجر، القاهرة، سنة ١٩٦٦م.
- ١٨- روح المعاني، للألويسى، بيروت، بدون تاريخ.
- ١٩- زاد المعاد، لأبن القيم، القاهرة، دار الفكر، سنة ١٣٩٢هـ.



- ٢٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للعماد الحنبلي، بيروت، بدون تاريخ.
- ٢١- الكشاف، للزمخشري، القاهرة، ط الحلي، سنة ١٩٧٣م.
- ٢٢- الكتاب، لسويوه، القاهرة، المطابع الأثرية.
- ٢٣- المقتضب، للمجد، تحقيق الشيخ محمد عزيمة، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة سنة ١٩٦٣م.
- ٢٤- معاني الحروف، للزمان، تحقيق د. عبد الفتاح شلي، القاهرة، سنة ١٩٧٣م.
- ٢٥- مختار الصحاح، للرازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٦م.
- ٢٦- وفيات الأعيان، لابن خلكان، القاهرة.